دور المؤثرات الذاتية في قيام الحضارة العربية الإسلامية

تتصف الحضارة العربية الاسلامية بإنها حضاة انسانية بلغت الحياة الاجتماعية فيها أقصى ما يمكن أن تبلغه في مجتمع من رقي ونضج وتعتبر أعظم حضارات العصور الوسطى دون منازع وهي واحدة من الحضارات التي عرفها العالم بسبب الدور الذي لعبته في تاريخ الإنسانية. ومن الواضح أن البيئة التي نبتت فيها هذه الحضارة وترعرت أصبحت على أعلى مستوى من التحضر والتقدم وكانت موطنًا لكثير من الحضارات القديمة المزدهرة وبذلك حدث تجاوب بين القديم والجديد في هذا المجال.

وأخد المسلمون واقتبسوا من الحضارات التي سبقتهم وتأثروا بها ثم تناولوا ذلك القديم بالشرح والتصحيح والتغيير والتبديل والحذف والإضافة ونجم عن هذا كله حضارة جديدة لها طابعها الخاص وهو طابع الإسلام ويمكن ارجاع هذه المقومات الى مؤثرات ذاتية داخلية كالإسلام وأخرى خارجية مستمدة من حضارات بعض الأمم القديمة.

وستناول في هذا البحث المؤثرات الذاتية التي كانت سببًا مباشرًا في قيام الحضارة العربية الإسلامية وجعلتها من أعظم الحضارات في العصور الوسطي وهي:-

1-العروبة:

تطلق العروبة على الأمة العربية والمفهوم البسيط للأمة إنها جماعة بشرية متجانسة فكريًا ونفسيًا وثقافيًا وتقطن بقعة جغرافية لابنائها لغة واحدة وتاريخ مشترك وآمال لمستقبل مشترك[1]

وبالنسبة للإنسان العربي فانه يكفي لوصفه أو الحكم عليه بالعروبة ان يكون عربي اللسان بغض النظر عن العرق أو الاصل المنحدر منه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يأيها الناس إن الرب واحد وأن الاب وان الدين واحدا وأن العربية ليست لكم باب وام وانما من تكلم العربية فهو عربي. [2]

وتعني بالعروبة العرب ولغتهم وآثارهم بصورة عامة في بناء دولة الإسلام وحضارتها فقد كان العرب العنصر الأول والاساس الذي حمل لواء الاسلام ومهمة الجهاد لنشر الدين الجديد خارج بلادهم وتوصيله لشعوب الدنيا كلها[3]

والعروبة هي أمة الرسول " ﷺ " وبلغتها نزل القرآن الكريم ومن بلادها بدأت المسيرة المشرقة للإسلام ومنها الخلفاء والقادة ورجال الدولة الإسلامية والعلماء والفقهاء والأدباء وارباب الفكر الدين نبغوا بمعارفهم وقدراتهم العلمية المختلفة[4].

والعروبة هي التراث العربي الضخم الذي اشتهرت به في القرون الوسطى، والذي أصبح عنوان مجدنا ورمز مدنيتها ودليلا صادقا على مبادئها وحجة قوية على إنها لا تعيش في فراغ كما يقولون لأن الاسلام قد أمرها بكل مقومات الحياة الحرة الكريمة [5].

وكان للعرب طبائعهم وعاداتهم كالشجاعة والانفة واكرام الضيف والجوار وغيرها من التقاليد الموروثة لهم وفنونهم ومعارفهم التي اشتهروا بها كالولع بالشعر والمحافظة على الانساب والحكمة والنباهة واقتفاء الاثر. [6] وكانت بلاد العروبة هي مهد الدين الإسلامي ومنبع الدولة الإسلامية والمكان الذي اشع على العالم نور الحرية والهداية[7].

وكان العرب أصبح بهم الإسلام الشامل والرسالة العظمى التي نشروها في العالم بلسان عربي مبين وقد مكن الاسلام العرب من فرض احترامهم على العالم اجمع وغدا الإسلام هو الحرية والإخاء

والمساواة والمثل السامية التي بشر بها العرب المسلمون لانقاذ البشرية من الضلال والعبودية[8].

وكانت العروبة امة رجال اعزاء بدينهم وكانوا امة القرآن ارسله الله سبحانه وتعالى الى قوم يفكرون [9] والعروبة هي التي سما بها الاسلام خلقًا وسلوكًا ووحد صفوفهم وأخا بينهم والف بين قلوبهم وجعلهم أعظم أمة على وجه الأرض [10].

وقد أيد القرآن الكريم هذه الظاهرة التي تشبه المعجزة في قوله تعالي **(لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم)** [11]

ولقد اوجد محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام امه جديدة ككل وكافراد فعظمته تظهر جليه في براعته في صنع القادة العظام من رجال كانوا عاديين ولقد أوجد الانسان العربي المتحضر بعقله وايمانه واخلاقه ومثله وامانته وبعد أن قام العرب بالسيطرة على العالم الوسيط بعد فتحه فلم تمتصهم الحضارات للدول المفتوحة، لقد جاؤوهم بمنطلقات حضارية جديدة واستطاعوا فهم الحضارات القديمة، قاموا بصهرها جميعًا في بوثقه عربية واخرجوها للناس حضارة جديدة ثم قام العرب بتطوير هذه الحضارة وتنميتها وإضافة جوانب مبدعة كثيرة عليها[12] .

وكان للعرب الدور الرئيسي والمؤثر في ميدان الإسهامات الجديدة التي طرأت على مختلف العلوم والمعارف التي تناولتها حركة الترجمة ابان القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد [13]

وأن أي أمه من الأمم قديمة كانت أو وسيطة لم تنجب من الملوك وبناة الدول ومنشئيها مثلما انجبت ألامة العربية في ظل الإسلام، لقد انجبت الخليفة عبد الملك بن مروان المنشأ الحقيقي للدولة المروانية والخليفة ابا جعفر المنصور منشأ الدولة العباسية والأمير عبد الرحمن الناصر الذي دانت لسلطانه ملوك الدول الاوروبية[14].

وقال العالم الغربي "لوبون" كان للعرب خصال عظيمة وقابليات ذهنية عالية وهم أفضل من الرومان بسعة معارفهم العلمية والفنية ويمكن القول بان للعرب مقامًا رفيعًا في التاريخ فقد ظهر من العرب رجال عظماء كما تشهد بذلك اكتشافاتهم[15].

2-الدين الاسلامي:

الإسلام عقيدة وشريعة دين ودنيا فالعقيدة تتمثل في وحدانية الخالق والتصديق بملائكته وكتبه ورسله وعلى رأسهم رسول الإنسانية محمد بن عبد الله وكتابه المبين ثم ايمان بالبعث بعد الموت والثواب والعقاب في دار الخلود [16]. وبذلك نجد أن الدين الإسلامي أكد على وحده العقيدة والفكر ولهذا ساعد على روح الاخاء والمساواة التي تميز بها [17]

أما الشريعة فتعني ألاحكام التي فصلها القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبارها أهم مصادر التشريع الإسلامي وهي تنظم:

1- علاقة الانسان بخالقه ويقصد بها الفرائض كالصلاة والزكاة والصوم والحج بشروطها المعروفة.

2- علاقة الناس بعضهم ببعض ويراد بها المعاملات المختلفة لتلك التي تتعلق بالأسرة واركانها الثلاث الزوج والزوجة والابناء والتجارة كالبيع والشراء وجمع الثروة والمال والحدود والقصاص وغيرها [18].

ولقد شرعت الصلاة لتكون رمزًا للمؤمن ويلتمس بها المسلم العون من الله سبحانه وتعالى خالق الكون وبارئه وشرع الصوم لتقوى به الروح علي كبح جماح النفس اذ طغت المادة لما فيه من كسر حده الشهوات الجسمية التي تعوق الروح من السمو اللائق بالانسان وشرعت الزكاة حيث يعطف الغني على الفقيرة والمحروم وتتجاوز عن اليسير من المال للعائل والعاني وهي حكمه

مشروعية الزكاة، ولما كان الدين الاسلامي دين وحده وتعارف والفة شرع لهم الحج يجتمع فيه القادرون من المسلمين لأداء شعائر الله سبحانه وتعالى [19] .

كما وضع الدين الإسلامي الكثير من الأسس والمبادئ العامة التي تنظم المعاملات بين أفراد جماعة المسلمين كالبيع والشراء وعني عناية كبيرة بالأسرة فشرع الزواج والطلاق وفرض النفقة للزوجة على زوجها والابن لابيه وللاب على ابنه وسمي عقد الزواج ميثاقًا غليظًا كما وصفه بأنه علاقة مودة ورحمة [20].

وجاء الدين الاسلامي لانقاذ البشرية من الضلال والعبودية وتطهير الإنسان من ادران عبادة الاشخاص والحيوانات والأحجار والأجرام السماوية ومظاهر الطبيعة ورفعه الى الدرجة التي تليق بالانسان ان يتبواها[21] .

وأقام الدين الاسلامي النهضة العلمية وقد حث على أعمال العقل في الإبداع والابتكار وفتح امامه افاقًا جديدة للمعرفة ومجالات واسعة للنشاط الفكري ودعا إلى الملاحظة والتفكير والتدبر التي هي أساس البحث العلمي[22] وقد عبر القران الكريم عن هذه الحقيقة بقوله تعالي: **(هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)**. [23] وكذلك الدين الاسلامي ينظم المبادئ المتعلقة بالقواعد الخلقية العامة والفضائل الخلقية الاساسية الثابتة كالصدق والأمانة والاخلاص واحترام حرية الانسان[24].

وكان الدين الإسلامي المنهل الأول والأعظم للفكر والثقافة فطبع حياتهم العامة والخاصة بطابعة وصبغ نظمهم وفنونهم وادابهم بهذه الصبغة الاسلامية المميزة فكان دون ريب المصدر الرئيسي الذي رسم للمجتمع الإسلامي نمط الحياة الجديدة فاستقوا منه أسلوب معيشتهم وحياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والفكرية ونظر الى المادة والروح والعلم والدين على انهما امران متلازمان لا يفترقان ولذلك جمع بين مطالب الدنيا والآخرة فلم يدع الى الترهيب والحرمان بل دعا

الانسان الى أن يعمل في الحياة الدنيا ويستفيد من طيباتها وخيراتها وان يتزود فيها الآخرة من التقوى والعمل الصالح[25]

وقال تعالى **(وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس ننصيبك من الدنيا)** [26]

وقال **تعالى (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعبادة والطيبات من الرزق)** [27]

وحث الدين الاسلامي على النهوض بالعلم فقد ظهرت العلوم الشرعية كالتفسير والقراءات والحديث والفقه والاصول وغير ذلك من العلوم كعلم النحو والاداب والبلاغة والسير والمغازي والتاريخ [28].

وحث كذلك على دراسة العلوم العقلية والطبيعية كالفلسفة والطب والكيمباء والفيزياء وعلوم الحياة وغيرها من خلال قدرتهم ورغباتهم على التعلم [29]

ونظر الدين الاسلامي الى قدرة الإنسان على القيام بالعمليات العقلية من التفكير المجرد الذي يتعلق بأمور معنوية مجردة والتأمل والتدبر في ظواهر الكون والتخيل والنظر العلمي بقصد الكشف عن الحقيقة في موضوعية وتجرد من الهوى والمؤثرات الذاتية والقياس والاستدلال والاستنباط والنتائج الصائبة الصادرة عن التجارب المتشابهة [30].

وأهتم الدين الاسلامي بأهمية الانسان وكرمه على سائر المخلوقات لأن الانسان هو الذي يفكر ويبدع ويخترع وهو الذي يحول الثورة العلمية والتقنية الى ثورة انسانية تخدمه وتخدم المجتمع الذي يعيش فيه وهو الذي يستطيع بذكائه وعلمه المبدع أن يسخر الموارد الطبيعية المادية على اختلاف انواعها واشكالها لخدمته وخدمة مجتمعه وامته [31]. وتدل الايات القرانية على أهمية الانسان وتكريمه في بعض الايات ومنها قوله تعالى **(لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم)** [32]

وقال تعالى **(ولقد كرمنا بني ادم)** [33]

ويدعو الدين الإسلامي الانسان أن يدبر وينظر في نفسه وفي ملكوت ربه ليتوصل بهذا النظر العقلي وبذلك التدبير من الموضوع الى الدلالة على الصانع والنظر في المخلوق الى الاتصال بالخالق سبحانه وتعالى [34] .

وأتى الدين الاسلامي بتشريعات اقتصادية دقيقة تتعلق بالتركات والمواريث وقسمتها فحرم الربا واحل البيع ونظم الضرائب والمواريث بأساليب جديدة تتفق وروح الدين الاسلامي كالغنائم والانفال والزكاة والخراج والاخماس والاعشار [35]

والدين الاسلامي يدعو الى الأمر بالمعروف وهو ما يتفق عليه الناس ويعترفون به من الأخلاق والسلوك والحقوق والواجبات وكذلك النهي عن المنكر لان الله سبحانه وتعالى يستنكره وبذلك فإن الدين الاسلامي يستطيع أن يسير بالامة الاسلامية في الطريق السوي وفي طريق النور وينهض بالأمة في جميع مجالات الحياة وبه تزدهر الحضارة [36]

ووضع الدين الاسلامي تشريعات اجتماعية كانت تهدف الى ايجاد مجتمع اسلامي تنعدم فيه الفوارق الطبيعية وتصان فيه الحقوق العامة والخاصة وتناولت هذه التشريعات أسباب الحياة وشؤونها المختلفة كأداب المخاطبة واداب الزيارة والطعام والمعاشرة الزوجية والحشمة في اللباس وغير ذلك من الأداب العامة كما تناولت الحرية الفردية والحريات العامة[37].

3-القرآن الكريم:

في ظلمات القرون التي تراكم فيها الفساد وطغت رواسبة على حياة البشر وفي لجج الجهالات وبين أمواج الضلالات التي عمت كل لون من الوان نشاط الحياة البشرية وكل ناحية او زاوية منها نزلت أول ايات القران الكريم ذلك النبا العظيم من عند مبدع الاكوان خالق الانسان وجاءت تلك

الايات تصدع الظلام المطبق وتضئ للانسان معالم الحياة الصحيحة المفلحة فتنادي وتامر بالقراءة والكتابة وتشيد بفضل القلم الذي هو حزام العلم [38]

قال تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم) [39]

ومن الخطأ ان يعتبر البعض القرن الكريم مجرد كتاب ديني يبشر بعقيدة جديدة انه في حقيقة امره ظاهرة حضارية كبرى باوسع ما يعنيه لفظ الحضارة من سمو روحي وفكرى واجتماعي وبذلك فانه يمثل حجر الزاوية في بناء اعظم حضارة عرفتها البشرية طوال العصور الوسطى وانه نزل به الروح الامين على الرسول العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم منجما على مدى ثلاث وعشرين سنة ليكون اقوى اثرا في تثبيت الفؤاد واقرب الى الحفظ واسهل على الضبط وابعد عن النسيان [40] وانه كلام الله عز وجل انزله على رسول الله ليكون حجة له على انه رسول الله ودستور وهدي للناس يهتدون بهداه [41] .

قال تعالى **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)** [42]

وانه اسم لكلام الله القوي الغالب انزله على رسوله خير خلقه محمد ابن عبد الله ﷺ معجزا يتحدى ببلاغته ومعناه البشر كافة على اختلاف السنتهم واوطانهم وازمانهم حجة عليهم وهاديا لهم ورسالة خاتمة الى قيام الساعة [43]

ونزل القران الكريم تدريجيا اية اية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك حسب الحاجة الى الاية وكان الصحابة يكتبون هذه الايات على سعف النخيل والرقاع وعظام الواح الابل والغنم [44]

واعتبر الامام القرطبي ان التدرج في انزال ايات الاحكام كرامه واحسان من الخالق لعبادة فقال ان الله لم يدع شيئا من الكرامة والبر الا اعطاه هذه الامة ومن كرامته واحسانه انه لم يوجب عليهم الشرائع دفعه واحدة لكنه اوجبها عليهم مرة بعد مرة [45] وان الله تبارك وتعالى انزل ايات الاحكام وفق منهج حكيم وباسلوب قويم لاقناع الناس بالتخلي عما يؤمنون وما وجدوا عليه الاباء والاجداد والى عقيدة جديدة تتناقض كلية مع سابقاتها [46]

ومن الواضح أن عملية تدوين القران الكريم لم تتخذ شكلا جماعيا متكاملا وانما تمت بطريقة متناثرة بحيث ظلت سور القران مبعثرة في اكثر من مكان وعليه فان حفظ القران الكريم وتدوينه كان أهم الوسائل في صيانته وقد رتب الرسول صلى الله عليه وسلم سورة واياته طبقا كما اخبره الوحي بذلك [47]

وقد اشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ايام حروب الردة وخاصة يوم اليمامة عندما قل كثير من المسلمين فقال لابي بكر الصديق رضي الله عنه اني اخشى ان يستمر القتل بالقراء فيذهب من القران الكثير، واني ارى ان تأمر بجمع القرآن فأمر ابوبكر زيد بن ثابت فجمعه من الرقاع وصدور الرجال فكان هذا اول جمع للقرآن وحفظ عند حفصه بنت عمر [48]

وقد لاحظ حذيفه بن اليمان قائد عثمان في غزو ادربيجان اختلاف المسلمين في قراءة القران فاشار على عثمان بتدوين مصحف يقرؤه المسلمين فأرسل عثمان إلى حفصه بنت عمر ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها وكانت هذه الصحف هي التي كتبت في ايام ابي بكر الصديق، وقام بهذا العمل زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأمرهم عثمان بان يكتبوا ما لا يختلفون فيه بلسان قريش وبعد ان نسخت تم ارسالها للامصار حتى لا يختلف المسلمون في قراءة القران [49].

ويعتبر القران الكريم الدستور الثابت للمسلمين ينظم لهم حياتهم في جميع المجالات سواء فيها ما يتعلق بالاسرة والاولاد، او ما ارتبط بالمعاملات المالية والمدنية وما كان منظمًا للعلاقات الثابتة التي يجب أن يمثل القواعد الانسانية للتعامل بين العلاقات الثابتة للتعامل مع الأفراد والجماعات واتصفت هذه الاحكام بالتكامل والترابط والثبات والمرونة[50]

والقران هو المورد الرئيسي للحضارة الإسلامية في كثير من العلوم والفنون والاداب وهو ما يؤكد أصالة الحضارة العربية الاسلامية ويضمن حرية الرأي والعقيدة ويدعو الى التعارف والتعاون والمحبة بين الناس وينص على المساواة بينهم وينصف المرأة ويؤكد حقوقها وهو فوق كل ذلك نظام شامل في الدين والاقتصاد والاجتماع والدفاع والسياسية وشئوون الحياة كافة [51]

وقد يسر القرآن امور العبادة وشرع لهم من الأحكام ما فيه سعادتهم في الدنيا والاخرة وهذه الأحكام اكثر ملائمة لمقتضى الفطرة البشرية السليمة من اي دستور اخر [52]

واستخدم العلم في الاستدلالات الكونية وغيرها وحرر العقول من الاوهام والاساطير والخرافات وحثها على النظر والتامل واستخراج تلك الاشارات العلمية وتقريرها وقد وجه العقل الى النظر في ملكوت السموات والارض لكشف حقائق الوجود ورفع الحجاب عن اسراره وعجائبه [53]

قال تعالى **(قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق)** [54]

ويعتبر القرآن منبع كثير من العلوم التي اشتغل بها المسلمون فاستعان به علماء النحو على استنباط قواعد اللغة العربية كما اعتمد الفقهاء في احكامهم الفقهية على القران الكريم وألفو كتبا كثيرة اسموها احكام القران واستعانت الفرق الاسلامية بكتاب الله واتخدوه اساسًا للتدليل على صحة ما ذهبوا اليه[55]

وكان القرآن منذ البداية العامل المهم في التكوين الثقافي للعرب والمسلمين وتحديد نظمهم التي كانت تتكلم اللغة العربية، وبذلك حفظ اللغة العربية وحال دون تحويلها الى لغات قطرية اقليمية [56]. وهو يحتوى على كثير من المقاصد والأهداف العظيمة التي تتعلق بالانسان والمجتمع ويتعامل على معنى الحياة البشرية بما فيها من قضايا الخلق في التكوين النفسي والتضامن والتأخي الاجتماعي والضبط الاخلاقي والاجتماعي وبما انه دستور المسلمين في دينهم ودنياهم فكلما تطورت الحياة الاجتماعية والاقتصادية رجعوا اليه ليروا فيه حلا لما يستجد من وجهة نظر جديدة وقرأوا فيه معاني لم تكن لتخطر على بال من تقدمهم[57]

ويعتبر القرآن الكريم بداية عصر العمل والعمران والخير وانه اعطانا مفاتيح ذلك كله ويشير الى العمل الصالح وهو ما ينفع الناس. [58]

وهو ايضًا ابلغ كتب العرب ويشتمل على أسلوب خاص يمتاز به دون غيره وقد ادى بالعرب الى الافتتان باعجازه كما أكد على اهمية العلم والعمل معا وكفل حرية الراي والتعبير[59] وإنه يطرح القضايا العامة الصالحة للتطبيق الدائم في كل زمان ومكان وذلك لثبات مبادئه وأحكامه وعدم قابليتها للتغيير والتبديل ولما في أحكامه وتشريعاته من مرونه يتمكن من العمل به وتطبيقها على اختلاف الظروف والأحوال والأمكنة وإنه تشريع يحترم العقل ويقدره ويجعل له دورًا بارزًا في التكاليف والأحكام هو بهذا يهدف الى طرح قضايا عقلانية تنطلق من الاقتناع الكامل لكل ما يكلف به الانسان دون أن يكون هناك أمر تعسفي أو تكليف اجباري[60].

4- <u>الأحاديث النبوية الشريفة:</u>

وهي من أهم مصادر التشريع الإسلامية وهي كل ما اثر عن النبي من قول او فعل او تقرير لشئ رآه [61]. والحديث يلي القرآن من أهميته الكبرى وذلك انه يفصل ما اجمله القران الكريم ويفسر ما

يصعب على الناس فهمه منه وكثير من آيات القران مجملة أو مطلقة أو عامة يفصلها الحديث او يقيدها او يخصصها فالقران مثلا ام بالصلاة على وجه الاجمال اما الحديث فقد عددها وحدد اوقاتها ووصف كيفية ادائها.[62]

وتثبت السنة أحكاما لما يعرض لها القرآن الكريم بنفي او اثبات وما تثبته السنة حينئذ من الاحكام لابد ان اصله في كتاب الله لا عجب اذا كانت السنة هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم .[63]

وهي وحي يوحى تبين ما يحتاج فيه من ايات الكتاب العزيز الى بيان وبخاصة ما يتعلق منها بالعبادات فقد بينتها السنة وبذلك فهي خادمة له ببيان مقاصده والاعانه على تطبيق اصوله وقواعده [64]. وقد أشار القران الكريم ذاته بطاعة الرسول الكريم والتزام سنته فانتهى العلماء المحققون الى أن الحديث الصحيح حجة على جميع الامة وهكذا اخص الله سبحانه وتعالى نبيه بشئ يطاع فيه ولا يعصي وهي سنته التي جاء بها[65]

قال تعالي (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [66]

والأحاديث النبوية هي تطبيق لشرع الله ومنهجه وهي الى جانب ذلك تشريع قويم لأن رسول الله صلى عليه وسلم شرع بنص القران الكريم [67]. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل مشاكل المسلمين ويجيب عن اسئلتهم ويفتي لهم في قضاياهم المختلفة. وعلى هذا أصبح الحديث اساسًا مهما من أسس التشريع في العبادات والمسائل الدينية والدنيوية، وكان له أعظم الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي فقد أقبل الناس على دراسته ورحلوا في سبيل جمعه فكان ذلك تبادلا للآراء العلمية، واطلاع علماء بلد على ما في بلد الآخر من علوم ومعرفة وبهذا كان الحدث من العوامل المهمة في توحيد الثقافة في العالم الإسلامي [68]

واذا كان القرآن الكريم قد دون في وقت نزوله بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فانه نهى عن تدوين حديثه في حياته بقوله "لا تكتبوا علي ومن كتب غير القران فليمحه" وحدثوا عني فلا حرج ومن كذب علي متعمدا مقعده من النار (69)

وعند وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن السواد الأعظم من العرب يستطيعون القراءة والكتابة، وقد روى العرب الأحاديث النبوية بعضهم عن بعض فتأثرت بشئ غير قليل من التبديل والتحريف مما أدى بها الى الغموض والابهام فشوهت معانيها والظروف التي أحاطت بوقوعها وقولها وبدا التدوين للأحاديث الشريفة في القرن الثاني الهجري معانيها والظروف التي احاطت بوقوعها وقولها وبدا التدوين للأحاديث الشريفة في القرن الثاتي الهجري واتاحوا الفرصة لظهور طائفة من ائمة الحديث الدين ظهورا في العصر العباسي(70)

وشهد القرن الثاني والثالث الهجري نشاطًا كبيرًا في جمع الأحاديث على أساس مدى صدق روايتها اعتمادا على الاسناد اي الرجوع الى المصدر الاول الذي اخد عنه الحديث، وبهذا جمعت مصنفات كثيرة في الحديث صنفت حسب المواضيع الي تتصل بها وخصصت ابواب المواضيع فشملت الايمان والعبادات والمعاملات والعلم (71)

وتكامل جهود العلماء في الحديث في جمع الحديث وتدوينه في القرن الرابع الهجري واستمرت عنايتهم بعلوم الحديث وظلت حية على مدى العصور المختلفة. وقد اهتم المسلمون بالحديث فرحلوا في طلبه وجمعوه والفوا في علومه المختلفة ما لا يحصى من الكتب وبنوا لتدريسه المدراس والمكتبات وقد نتج عن العناية بالحديث انتشار الثقافة في العالم الاسلامي وتوحيدها وفتح ابوابها لجمهور الناس والعناية باللغة العربية والمحافظة عليها وبالثرات العربي الاسلامي عموما (72)

وكانت توجد عدة اسباب لتدوين الأحاديث النبوية الشريفة وهي:-

1- اتساع رقعة العالم الإسلامي ومواجهة نظم ورسوم كان لابد ان يلتمس لها مكان في السنة النبوية.

2- انقضاء جيل الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والخوف على هذا التراث النبوي من الضياع وعبث الرواه.

3- ظهور الفرق والمذاهب الاسلامية التي سعت بالاستشهاد بالاحاديث النبوية الموضوعية تدعيما لموقفها وتاييدا لادائها ومنافسة لغيرها.

4- كان للنظام السياسي في الخلافتين الاموية والعباسية واهدافها في الحث على تدوين الحديث لتبرير سلوك الخلفاء في التخلي عن مبدا الشورى وفي اضفاء الشرعية على سلوكهم في معاملة الرعية.

5- اهتمام المسلمين بالحديث لتوضيح حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته ونشرها بين الناس ولتنظيم الحياة في مختلف نواحيها.

6- كثرة الحديث ورغبة المحدثين في استقصاء الأحاديث الصحيحة.

7- عناية العباسيين بالسنة تركت اثرا واضحا في تنشيط الحركة التي كانت ترمي الى جمع الاحاديث وتدوينها.

8- ظهور مدرستين للفقه أحدهما في العراق والأخرى في الحجاز ورغبة هاتين المدرستين في تنظيم مادة الحديث وتدوينها[75]

وبذلك كانت الأحاديث عاملاً من العوامل المؤثرة في نشأة الحضارة العربية الإسلامية وازدارها وكانت احد المقومات التي استقت منها الحضارة الاسلامية لما تحويه هذه الاحاديث من شروح

وتعليمات من خاتم الأنبياء محمد ابن عبد الله الذي اختاره الله سبحانه وتعالى ليكون متمما للرسالات السماوية.

5- التأثيرات الأجنبية لشعوب البلاد المفتوحة:

كانت الدولة العربية الاسلامية بعد إنجاز حركة التحرير والفتوح الإسلامية في العالم الاسلامي تعبيرا ينطوى على مفاهيم دينية وسياسية وجغرافية بل واستراتيجية وقد بلغ هذا العالم الإسلامي ذروة قوته واتساعه في عهد الدولة الاسلامية، وكان يمتد من تركستان الصينية الى وسط اسيا فيضم افغانستان والملايو وبورما والفلبين وشبه القارة الهندية واندونيسيا وايران والعالم العربي وتركيا وأجزاء عديدة من البلقان وشرق افريقيا ووسطها الصحراوي وشبه الصحراوي حتى الحزام الزنجي الممتد من السنغال الى الكونغو. (76)

ولما خرج العرب من جزيرتهم بعد إسلامهم صرعوا الفرس والأغريق والرومان وأقاموا دولة عظيمة امتد سلطانها من قلب بلاد الهند الى شواطئ المحيط الاطلسي وأبدعوا تلك الآثار التي هي اية في الاعجاز والتي نالت الاعجاب وكانت شريعة الرسول وفنون العرب ولغتهم وادابهم الاصلية اينما حلت بعد الفتوح العربية تثبت اصولها(77)

وقد أدى هذا الامتداد الواسع الى انطواء شعوب وأمم كثيرة تحت سيادة الدولة الجديدة وقد كانت بعض تلك الشعوب تنتسب الى وسط حضاري سابق في مناطق مختلفة من البحر المتوسط أو العالم القديم (اسيا وافريقيا واوربا) (78). وبسبب ما تمتع به العرب من مرونة وحس حضاري وانفتاح على الشعوب امتزجوا حضاريًا مع هذه الأمم وتفاعلوا معها لأن تواصل الحضارات خاصية أساسية مستمدة من كيانها الإنساني والاجتماعي.

ففي بغداد كان من طبقات الشعب الى جانب العرب أهل الذمة وهم النصارى واليهود وكانوا يتمتعون بكثير من ضروب التسامح الديني في اديرتهم وبيعهم خارج المدينة مما يدل على أن الخلفاء والمسلمين كانوا على جانب كبير وعظيم من التسامح الديني مع أهل الذمة وقد أوجدت الحاجة الى المعيشة المشتركة، وما ينبغي أن يكون فيها من وفاق بين المسلمين واليهود والنصارى نوعا من التسامح ولم تتدخل الحكومة الاسلامية كذلك في شعائر أهل الذمة بل كان يبلغ من تسامح الخلفاء أن يحضروا مواكبهم واعيادهم [79]

وفي الأندلس نزل العرب حاملين إلى أهلها تعاليم دينهم السمح في معاملة أهل الكتاب من النصارى واليهود بمنتهى الرفق وحيث تكفل لهم حريتهم الدينية في عبادتهم، وما يتخدون لها من كنائس وبيوت وشعائر دون أي تدخل وبحيث يرفع عنهم ثقل الضرائب الفادحة التي فرضها عليهم القوط وكانت هذه المعاملة الاسلامية الكريمة التي حررت أهل الاندلس والتي ملأت الأندلس بالعدل كانت سببًا قويًا في أن يعتنق كثير من المسيحيين بالأندلس الإسلام [80]

وبذلك اختلط العرب بسكان البلاد الاصليين وعاشروهم وصاهروهم وامتزوجوا بهم وقد عاشوا معهم في ظلال وحده واحدة وإخاء تام وأخذ السكان الأصليون يتعلمون اللغة العربية ويتبادلون العادات والتقاليد وأصبح المجتمع الاندلسي عربي الملامح والسمات[81]

ولم يدخل المسلمون الأندلس كما دخلها القوط سادة حكامًا يباعدون بين أنفسهم وبين عامة الناس بل دخلوها في أثناء حركة الأمتداد الديني الفكري البشري التي بعثها الإسلام، وإنه لمن المخالفة المقصودة أن يقال ان امتداد الاسلام كان حركة فتوح او غزوات او انشاء لامبراوطورية سياسية يسودها جنس بعينه، وانما كان في الواقع حركة استيقاظ تمتد من شعب لشعب كأنها امواج يدفع بعضها بعضا فلا يكاد الاسلام يقبل على بلد حتى يستيقظ اهله ويهبوا ليحملوا رايته بايديهم[82]

وهكذا امتزجت كل هذه العناصر والأجناس بعضها ببعض امتزاجًا تسرب في عقولهم كما تسرب في دمائهم فكانت لهم نزعة عقلية جديدة ساعد على تكوينهما بالإضافة الى عملية الامتزاج ببيئة طبيعية غنية حافلة بشتى المناظر وصور الجمال، وكان من أثر ذلك كله أن أصبحت لهم مميزات عقلية خاصة وصفات لم تكن لغيرهم من العرب الخلص[83]

وكان العدل بين الرعية دستور العرب السياسي، وقد ترك العرب الناس احرارًا في أمور دينهم وظل العرب يحمون الاساقفه الرومان اللاتين بحمايتهم. فنال هؤلاء ما لم يعرفوه سابقًا من الدعة والطمأنينة، وأن الخلفاء الأولين الذين كان عندهم من العبقرية ما ندر وجوده عند دعاة الديانات الجديدة ادركوا ان النظم والاديان ليست مما يفرض قسرا فعاملوا أهل الشام ومصر وليبيا واسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين عليهم سوى جزية زهيده في مقابل حمايتهم لهم وحفظ الامن بينهم [84]

ومما يميز المسلمين إنهم اسسوا علاقتهم بالأديان الأخرى على التسامح والبعد عن التعصب والتزمت والضيق الفكري ووقفوا منها موقف المسالمة والتعايش والمعاملة بالمثل ولقد اعترفوا بالديانات السابقة التي أتى بها الرسل من قبلهم وبالكتب السماوية التي جاءوا بها وبالتسامح والمرونة والبعد عن التعصب استطاع المسلمون ان يفكروا ويرسوا دعائم المؤسسات الحضارية، وأن يتعاملوا مع أمم متعددة وثقافات مختلفة وحضارات متنوعة اخذوا منها واعطوا لها فكانت الحصيلة ذلك التراث العظيم الذي تزخر به الحضارة الاسلامية[85]

الخلاصـــة

كانت هذه المقومات التي تطرقنا اليها في بحثنا هذا من المرتكزات المهمة في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية حتى وصلت الى أعلى المستويات في جميع مظاهر التقدم في العصور الوسطى ولم يكن لها مثيل في هذا العصر.

واستطاعت أن تكون حضارة مرموقة واضحة كوضوح الشمس في هذا العصر في جميع أنواع العلوم المختلفة فكان هذا تقدم في العلوم الدينية كالتفسير والقراءات والفقه والآدب واللغة والنحو والشعر بالإضافة الى العلوم الطبيعية كالفلسفة والفيزياء والكيمياء وعلوم الطب والهندسة.

ولقد تركت لنا الحضارة العربية الإسلامية اشياء ملموسة إلى يومنا هذا تدل على مدى ما وصلت إليه هذه الحضارة من ازدهار وتقدم وخاصة في الطب والهندسة المعمارية، ولقد استفادت الحضارة الأوروبية الحديثة من هذه الأشياء التي تركها العلماء المسلمون وبث على اثارها نظرياتها الحديثة وخاصة النظريات الطبية والهندسية والفيزيائية، ولهذا كانت الحضارة العربية الإسلامية هي الأساس المتين لتقدم الأوربيين في العصور الحديثة. ولذلك نستطيع أن نصف الحضارة العربية الاسلامية بإنها أعظم حضارة عرفتها البشرية على مر العصور والأزمنة.

الهوامـــش

1-حكمت عبد الكريم فريحات ابراهيم ياسين الخطيب مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية دار الشرق عمان 1989 ف، ص .23.

2- عمر التومي الشيباني (خصائص الانسان ورسالته في تعمير الكون في الفكر الإسلامي) مجلة كلية الدعوة الإسلامية، عدد 5 ، كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس 1988 ف، ص 106.

3-ابـراهيم سـليمان الكـردي: المرجـع فـي الحضـارة العربيـة الاسـلامية مركـز الاسـكندرية للكتـاب 1999، ص 17 .

4- عبـد الحسـين مهـدي الـرحيم، تـاريخ الحضـارة العربيـة الاسـلامية الجامعـة المفتوحـه طـرابلس 1994، ص .43.

5- ناجي معروف اصالة الحضارة العربية ط 3 دار الثقافة بيروت 1975، ص 163.

6-ابراهيم سليمان الكردي، مرجع سابق، ص 17.

7- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، ط 9، ج 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1979، ص 176

8- ناجي معروف، مرجع سابق، ص 18.

9- حسين مؤنس، تاريخ موجز للفكر العربي، دار الرشاد، القاهرة، 1996، ص 9.

10- مصطفى الشكعة، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، ط 3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1992، ص 179.

11- سورة الأنفال، الأية 63.

12- سهيل زكار: تاريخ العرب والإسلام منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد، ط 3، دار الفكر بيروت، 1979، ص 52 – 53.

13- رشيد الجميلي: الحضارة العربية الاسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، منشورات جامعة قاريونس بنغازي، د . ت، ص 11، 14.

14- مصطفى الشكعة، مرجع سابق، ص 179.

15- ناجي معروف: مرجع سابق، ص 237.

16- ابراهيم سلمان الكردي، مرجع سابق، ص 16.

17- حكمت عبد الكريم فريحات، ابراهيم ياسين الخطيب، مرجع سابق، ص 28.

18- ابراهيم سلمان الكردي، مرجع سابق، ص 16.

19- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج 1، مرجع سابق، ص 177 – 178.

20- المرجع نفسه، ص 179.

21-ناجي معروف، مرجع سابق، ص 188.

22-حكمت عبد الكريم، فريحات ابراهيم ياسين الخطيب، مرجع سابق، ص 28.

23-سورة الزمر، الأية 9.

24-عمر التومي الشيباني (أهمية الإنسان ومفهوم وأبعاد الطبيعة البشرية في الفكر الاسلامي – مجلة كلية الدعوة الإسلامية – عدد 4 ، كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، 1978، ص 166.

25- ناجي معروف، مرجع سابق، ص 166.

26- صورة القصص، الآية 77.

27- سورة الأعراف، الأية 32.

28- ابراهيم سلمان الكردي، مرجع سابق، ص 14.

29- عبد المحسن مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص 593.

30- عمر التومي الشيباني، خصائص الإنسان ورسالته في تعمير في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص 100.

31- عمر التومي الشيباني، أهمية الانسان ومفهوم وأبعاد الطبيعة البشرية في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص 12.

32- سورة التين، الأية 4.

33- سورة الإسراء، الأية 70.

34- عمر التومي الشيباني، خصائص الإنسان ورسالته في تعمير الكون في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص 102.

35- ناجي معروف، مرجع سابق، ص 56.

36- حسين مؤنس، تاريخ موجز للفكر العربي، مرجع سابق، ص 67 .

37- ناجي معروف، مرجع سابق، ص 55.

38- مصطفى الزرقاء (1400 سنة مرت علي نزول القرآن الكريم)، مجلة حضارة الإسلام، عدد 6 السنة الثامنة، بيروت، 1968، ص 34.

39- سورة العلق، الايات من 1 – 5.

40- عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص 63.

41- شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 122.

42-سورة المائدة، الايات 15 – 16.

43- ابراهيم ارفيدة (القران واللغة العربية) – مجلة كلية الدعوة الاسلامية، العدد 14 ، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس 1997 ، ص 9.

44- حكمت عبد الكريم فريحات ابراهيم ياسين الخطيب، مرجع سابق، ص 115.

45- محمد زغلول (منهج القران في بيان الأحكام) مجلة كلية الدعوة الاسلامية، عدد 16، كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس 1999 ، ص 23.

46- المرجع نفسه، ص 22 .

47- عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص 63 .

48- حسن ابراهيم حسن، ج 1، مرجع سابق، ص 510.

49- المرجع نفسه، 511 – 512.

50- ابراهيم سلمان الكردي، مرجع سابق، ص 210.

51- عبد الحسن مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص 66 – 65.

52- محمد زغلول، مرجع سابق، ص 11.

53- حسن مسعود الطوير (الاشارات العلمية والاعجاز القراني) مجلة كلية الدعوة الاسلامية عدد 20 كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس 2003، ص 635.

54- سورة العنكبوت، الاية 20.

55- حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام ط 11 ج 3 مكتبة النهضة المصرية 1948 ف ، ص 388.

56- محمد خريسات واخرون تاريخ الحضارة الانسانية دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد الاردن.

57- ابراهيم سلمان الكردي، مرجع سابق، ص 211.

58- محمد خريسات واخرون، مرجع سابق، ص 211.

59- محمد فتح الله الزيادي (القران شريعة المجتمع)، مجلة الدعوة الاسلامية، العدد اول، كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس 1989 ، ص 28.

60- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج 2، مرجع سابق، ص 329 .

61- ابراهيم سلمان الكردي، مرجع سابق، ص 226 .

62- شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 123 .

63- محمد الدسوقي (الفقه في عصر البعثة) مجلة الدعوة الاسلامية، العدد 5 ، كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، 1988، ص 16 .

64- شوقي ابو خليل، مرجع سابق، ص 123.

65- سورة الحشر، الاية 7.

66- حسين مؤنس، تاريخ موجر للفكر العربي، مرجع سابق، ص 99.

67- ابراهيم سلمان اكردي، مرجع سابق، ص 226.

68 – عبد الحسين مهدي ارحيم، مرجع سابق، ص 66.

69- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج ،3 مرجع سابق، ص 330.

70- حكمت عبد الكريم فريحات ابراهيم ياسين الخطيب، مرجع سابق، ص 117 – 118 .

71- ابراهيم سلمان الكردي، مرجع سابق، ص 231.

72- المرجع نفسه، ص 233- 234.

73- عبد الحسين مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص 66 – 67.

74-حكمت عبد الكريم فريحات ابراهيم ياسين الخطيب، مرجع سابق، ص 118.

75- عبد العزيز سليمان فواز، الشعوب الاسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص 7.

76- ناجي معروف، مرجع سابق، ص 240.

77- عبد الحسن مهدي الرحيم، مرجع سابق، ص 67.

78- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج ،2 مرجع سابق، ص 397.

79- شوقي ضيف، عصر الدول والامارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة 1978 ، ص 128.

80- محمد عبد المعم خفاجي، الادب الاندلسي، التطور والتجدد، دار الجيل، بيروت، 1992، 101 - 103.

81- حسين مؤنس، فجر الاندلس، ط 3 ، دار الرشاد، القاهرة، 2005، ص 336.

82- عبد العزيز عتيق، الادب العربي في الاندلس، دار الافاق العربية، القاهرة، د. ت، ص 136.

83- ناجي معروف، مرجع سابق، ص 240.

84- المرجع نفسه، ص 240.

85- صلاح الدين حسن السوري (مرتكزات الحضارة الاسلامية مجلة كلية الدعوة الاسلامية كلية الدعوة الاسلامية طرابلس 1984- 1985، ص 37.

المصادر والمراجع

1-القران الكريم.

1-ابراهيم سلمان الكردي المرجع في الحضارة العربية الاسلامية مركز الاسكندرية للكتاب الاسكندرية 1999.

2-حسين مؤس تايخ موجر للفكر العربي، دار الرشاد، القاهرة 1969.

3-حسين مؤنس فجر الادلس ط 3 دار الرشاد والقاهرة، 2005

4- حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ط 9 الجزء الاول مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1979.

5- حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ط 10 الجزء الثاني مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1982.

6- حسن ابراهيم، حسن تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ط 11 الجزء الثالث مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1948.

7- حكمت عبد الكريم فريحات ابراهيم ياسين الخطيب مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية دار الشروق عمان 1989.

8- رشيد الجميلي الحضارة العربية الاسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية، مشورات جامعة قاريونس بنغازي دون تاريخ.

9- سهيل زكار تاريخ العرب والاسلام منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد ط 3 دار الفكر بيروت 1979.

10- شوقي ضيف عصر الدول والامارات الاندلس دار المعارف القاهرة 1989.

11- عبد الحسن مهدي الرحيم تاريخ الحضارة العربية الاسلامية الجامعة المفتوحة طرابلس 1994.

12- عبد العزيز عتيق الادب العربي في الاندلس دار الافاق العربية القاهرة دون تاريخ.

13- محمد خريسات واخرون تاريخ الحضارة الانسانية دارة الكندي للنشر والتوزيع اربد الاردن 1999.

14- محمد عبد المنعم خفاجي الادب الاندلس التطور والتجديد دار الجيل بيروت 1992

15- مصطفى الشكعة الاسس الاسلامية في فكر أبي خلدون ونظرياته، ط 3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1992.

16- ناجي معروف اصالة الحضارة العربية ط 3 دار الثقافة بيروت 1975.

- **<u>الدوريات:</u>**

1-مجلة كلية الدعوة الاسلامية منشورات الكلية الاسلامية – طرابلس.

1-عدد 12 1981 – 1985.

2- عدد 4 1978.

3- عدد 5 1988 .

4- عدد 14 1997 .

5- عدد 10 1999 .

6- عدد 20 2003.

2-مجلة حضارة الاسلام، عدد 6، السنة الثامنة- بيروت، ذو القعدة 1387 هـ شباط 1 ، 1968.